

تاريخ لبنان المعاصر لا يعرف عنه سوى القليل هذا البلد الصغير الرئيسي في الشرق الأوسط الذي كانت تطمح إليه القوى الإقليمية والدولية منذ ثلاثة قرون غالباً ما يتم كتابتها وفقاً للجغرافيا السياسية الدولية ، مما يحظر التعرف على الواقع المعقد لهذا المجتمع ، ومن هنا ، واقعة في خضم الصراع الإسرائيلي العربي والحرب الباردة من سويسرا الشرق الأوسط" ، أصبح لبنان بعد ذلك نوعاً من الرقائق والأشكال المثالية لحالات التفتت والتواصل المجتمعي على عكس هذه الصور النمطية ، من أجل تجاوز الألسنة الخشبية التي تؤكد فقط على المجتمعات وتنوعها أو تطوراتها المتباينة. حتى آخر التطورات وتوزيع المجتمعات الدينية. فمنهم من يشدد على قصور النظام الطائفي الذي يسير البلاد، ومنهم من يتكلم عن النمو غير المتوازن فيما بين الطوائف أو بين القطاعات والمناطق، أما الثانية فتتصل بالسلوك الإنساني الذي يصدر في أشكال أو أنماط منتظمة، نجد أن أنواعاً معينة من هذا النشاط تتكرر بنفس الصورة تقريباً، أو بمعنى آخر يميل الناس في المجتمع إلى الاتفاق أو التشابه فيما يصدر من سلوك في المواقف المختلفة. إن ملاحظة هذه الأنماط السلوكية، وإن كانت لا تعني الاتفاق التام بين سلوك الناس في المجتمع، إلا أنها تعني أن هناك عناصر مشتركة في هذا السلوك يمكن تجريدها. والواقع أن صفة الاطراد والتواتر في الظواهر الإنسانية تشكل أساساً لا يمكن إنكاره بالنسبة للعلوم الاجتماعية، لولا هذا التواتر لما نشأت العلوم الاجتماعية، وقد استخدموا لذلك مفهومين مازالا من المفاهيم الأساسية في الحقل الاجتماعي، والمعروف أن العلاقة وثيقة بين المفهومين نظرياً وفي الواقع الاجتماعي كذلك، وحتى لو أمكن التفرقة النظرية بينهما إلا أن الظواهر التي يعبران عنها لا ينفصل بعضها عن بعض في الحقيقة والواقع. ثم إن المجتمع لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة. وعليه فإن الثقافة هي: نمط متكامل الحياة الأفراد . الثقافة تمد المجتمع بالأدوات اللازمة لاطراد الحياة فيه . لا فرق في ذلك بين الثقافات البدائية والحديثة. الذين توفرنا على دراسة المجتمعات البدائية، فإن هذه الظاهرة قد أصبحت موضوعاً للعديد من العلوم الاجتماعية في مقدمتها علم الاجتماع نسبة للارتباط بين الثقافة والمجتمع. حاول كثير من العلماء الاجتماعيين منذ القرن الماضي، سنحاول فيما يلي تقديم بعض التعريفات لهذا المفهوم. تعريف "إدوارد تايلور الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر في كتابه عن الثقافة البدائية" والذي يذهب فيه إلى أن الثقافة هي: " كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع". وهكذا يبرز هذا التعريف العناصر اللامادية لحياة الناس في جماعة كالأخلاق والقانون والعرف التي تنشأ نتيجة للتفاعل الاجتماعي، وتأخذ طابعاً إلزامياً إلى جانب العنصر المادي للثقافة ، علاوة على تعريف " روبرت بيرستد ": "إن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله ، أو نملكه كأعضاء في المجتمع". يبرز هذا التعريف الصيغة التأليفية للثقافة لتصبح ظاهرة مركبة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي. ينظر أحدهما للثقافة على أنها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والإيديولوجيات وغيرها من المنتجات العقلية. حاول " كريستوفر جينز أن يميز أربع معاني رئيسية لمصطلح الثقافة 1- الثقافة ينظر إليها أحياناً كحالة للفكر. انجاز طموح انساني 2 من هذه الزاوية تعتبر الثقافة كنوعية تكتسب من جانب الأفراد القادرين على التعلم وتحقيق الصفات المرغوبة لدى الكائن المثقف. - أما التعريف الثالث فيرى الثقافة كإطار جماعي للفنون والأعمال الذهنية لدى أي مجتمع منفرد. بهذا المعنى يطلق على الثقافة أحياناً "الثقافة العليا". بناء على ما تقدم يمكن تحديد ثلاثة مفاهيم تمثل الثقافة وهي: - التحيزات الثقافية. أكد كل من "فرنسيس فوكوياما" 1995 و"لورانس هاريزون" و"صموئيل هنتجتون" 1996 بروبرت بوتام 1993 أن التقاليد الثقافية تتسم بخاصية الثبات على نحو ملحوظ، وهي التي تصوغ شكل السلوك السياسي والإقتصادي في مجتمعاتها اليوم. وهنا يمكن اعتبار الرأيين صواب، وهي مستقلة عن المعايير الاجتماعية المطلقة، وفي اتجاه قيم أكثر عقلانية وتسامحاً وثقة وحدانية. إن تحديد مفهوم الثقافة يصبح أمراً أساسياً في العلوم الإنسانية والاجتماعية من سيكولوجيا وسوسيولوجيا وأنتروبولوجيا. ويستعمله ابن خلدون على أنه مجموعة الأشكال والمظاهر لمجتمع معين، كما تربط شعوب وبلدان المشرق التي أصبحت في المائة عام السابقة متقاربة ثقافياً من حيث اللغة والمشارب والأذواق التعبيرية. وتسهم في تشكيا ظواهر مهمة ابتداء من معدلات الخصوبة إلى السلوك الإقتصادي كذا المؤسسات الديمقراطية. ولاسيما أن العلم الاجتماعي غارق في الثنائيات: "الثقافة والبنية" ، (التغير والاستقرار، الديناميات والاستاتيقيات، الطوعية والجبرية، الطبيعية والرسمية ، الموضوعية والذاتية ، الحقائق والقيم ، . وبرغم أن هذه الثنائيات مفيدة أحياناً كتقسيمات تحليلية، إلا أنها غالباً ما تؤدي إلى نتيجة سيئة وهي إخفاء مظاهر الإعتماد المتبادل بين الظواهر. وكثيراً ما يتمسك العلماء الاجتماعيون بجانب واحد من هذه الثنائيات والإدعاء بأنه أكثر أهمية. نظرية الثقافة توضح أنه لا داعي للإختيار بين الجمعية والفردية مثلاً أو بين القيم والعلاقات الاجتماعية. بينما تجاهلت دراسات العلاقات الاجتماعية كيف يقوم الناس بتبرير طريقتهم في الحياة لأنفسهم

وللغير ونحن نفترض ضرورة التقريب بين هذين الجانبين من الحياة الإنسانية. إذ يؤثر فيها عدد من العوامل من بينها على سبيل المثال: الجغرافيا والمناخ والسياسة والتاريخ. ويقول "دانييل إيتونجا - مانجويل" فيما يختص بالعلاقة بين الثقافة والمؤسسات: "الثقافة هي الأم والمؤسسات هم الأبناء". ويصدق هذا بوجه خاص على المدى البعيد، أما على المدى القصير، كذا كان حال إيطاليا حين اختارت أن تطبق لامركزية السياسة العامة والإدارة في السبعينات ، وهذه هي الحالة التي تم "أرخها في مراحلها الزمنية المختلفة" روبرت بونتام" في كتابه تفعيل الديمقراطية ARE وخلص بونتام الى نتيجة محورية مؤداها أن الثقافة هي جذر الاختلافات الواسعة بين شمال وجنوب إيطاليا. وهذه هي المنطقة ذاتها التي درسها إدوارد بانفيلد دراسة تحليلية كظاهرة ثقافية تعاني من حالة "مرضية لها أسبابها الإجتماعية وذلك في كتابه "الأساس المعنوي لمجتمع متخلف في النظرية التي THEORY OF SOCIOCULTURAL VIABILIT نظرية للقابلية الإجتماعية الثقافية للنماء شرح لنا كيف تحافظ أنماط الحياة على بقائها وكيف تفشل؟ إن من طرح هذه النظرية حاول أن يبرهن على أن استمرارية نمط الحياة تعتمد على وجود علاقة تساندية متبادلة بين تحييز ثقافي معين ونمط محدد للعلاقات الإجتماعية.